The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Job 22:10-23:11	أيُّوب 22: 10 23: 12
#553	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 863
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَك سميث

[المقدِّمة]
(مقدِّمُ البرنـامَج)

أعزَّاءَنا المستَمعينَ، أهلًا بكُمْ في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامجِ الإذاعيِّ ''الكلمةُ لِهَذا اليَوم''، حيث سنُتابِعُ في هذه الحَلَقةِ بنعمةِ اللهِ القديرِ دراستَنا في سِفرِ أيُّوبَ من إعدادِ القسِّ تشَك سميث.

في الحَلَقةِ السابقةِ من برنامَجِنا، تناوَلُ القسُّ تشَك الهَجْماتِ التي شُنَّتْ على أيُّوبَ من أصحابِه.

وفي حَلَقةِ اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سنرى أنَّ أيُّوب صابرٌ بَينَما يحتَمِلُ الادِّعاءاتِ الحَمْقاءَ من أصحابِه وَسَطَ ما يَمُرُّ به من تَجارِبَ مؤلِمةٍ.

إذا كانَ لدَيكَ كِتابٌ مقدَّسٌ، فنَرجو أن تفتَحَه على الأصحاحِ الثَّاني والعِشرينِ من سِفرِ أيُّوبَ، وابتداءً من العددِ العاشِرِ. أمَّا إذا لم يَكُنِ الكتابُ المقدَّسُ معَكَ الآنَ، فنرجو أن تُصْغِيَ، عزيزي المستَمِع، بروحِ الصَّلاةِ والخُشوعِ بَينما يتابِعُ أليفازُ اتِّهاماتِه القاسيةَ لأيُّوبَ.

[متن العِظة القسُّ تشَك]

نبدأ أعزَّاءَنا المستَمِعين في حلَقة اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةِ لِهَذا اليوم'' دراستَنا من سفرِ أيُّوبَ الأصحاحِ الثاني والعِشرينَ، وابتداءً من العَددِ العاشِرِ. لكنْ قبلَ ذلك سيَستَعرِضُ القسُّ تشَك أفكارًا من الحلَقةِ السابقةِ.

كانَتْ أخلاقُ الضِّيافةِ، مستَمِعيَّ الكِرام، أمرًا مهمًّا، وكانَ يُعدُّ عدَمُ التحلِّي بها شرًّا. بتعبيرٍ آخر، يقولُ أليفازُ إنَّ من الشرِّ ألَّا يُقدِّمَ شخصٌ ماءً أو خُبزًا إلى محتاجٍ، أو يُعدُّ شرًّا عَدَمُ السَّعيِ إلى مُساعَدةِ الفُقَراءِ والأرامِلِ واليتامى. وأحيانًا يكونُ هذا أمرًا حزينًا

في ثقافاتِ العالمِ اليومَ، حيثُ يتَّجِهُ الناسُ إلى التفكيرِ في أنفسِهِمْ دونَ الالْتِفاتِ إلى احتياجاتِ الآخرينَ.

وأنا أومنُ بقوَّةٍ بأنَّه إذا بارَكَنا الربُّ بالمالِ، فعلَينا ألَّا نستخدِمَ البركاتِ المادِّيَّةِ لشِراءِ الذَّهبَ والفِضَّةَ في حينِ يعاني كثيرونَ حولَنا الفقرَ والجوعَ.

وفي هذا الشَّأنِ، يقولُ الرسولُ يَعقوبُ في الأصحاحِ الخامس من رسالتِه والأعدادِ من الأوَّلِ إلى الرابعِ:

''هَلُمَّ الآنَ أيُّها الأغنياءُ، ابكوا مولولِينَ علَى شَقاوَتِكُمُ القادِمَةِ. غِناكُمْ قد تهَرَّأَ، وثيابُكُمْ قد أكلها العُثُّ. ذَهَبُكُمْ وفِضَّتُكُمْ قد صَدِئا، وصَدَأُهُما يكونُ شَهادَةً علَيكُمْ، ويأكُلُ لُحومَكُمْ كنارٍ! قد كنَزتُمْ في الأيَّامِ الأخيرَةِ. هوذا أُجرَةُ الفَعَلَةِ الذينَ حَصَدوا حُقولكُمْ، المَبخوسةُ مِنكُمْ تصرُخُ، وصياحُ الحَصَّادينَ قد دَخَلَ إلَى أُذُنَيْ رَبِّ الجُنودِ''.

وفي سِياقٍ متَّصِلٍ، قالَ يسوعَ كما نقرأُ في إنجيل متَّى الأصحاحَ التاسِعَ عشرَ والعددِ الرابعِ والعِشرينَ:

''وأقولُ لكُمْ أيضًا: إنَّ مُرورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقبِ إبرَةٍ أيسَرُ مِنْ أنْ يَدخُلَ غَنيٌّ إلَى ملكوتِ اللهِ''.

لماذا نقرأُ في الإنجيلِ هذا الكلامَ عن الغنى؟ السببُ هو أنَّ أغنياءَ كثيرين يقَعونَ في تَجارِبِ عديدةٍ تُدمِّرُ نفسَ الإنسانِ. فبركَةُ الربُّ لنا هي لنستخدِمَ المالَ ونشارِكَه معَ الفقراءِ والمُحتاجينَ. أمَّا إذا أغلَقْنا قُلوبَنا عن احتياجاتِ الناسِ عامَّةً، وعن إخوَتِنا وأخَواتِنا في المسيح خاصَّةً، ورُحنا نُنْفِقُ بإسرافٍ على أنفسِنا وكمالِيَّاتِنا، فاللهُ العادلَ سيُحاسِبُنا على هذا.

بالعَودةِ إلى حِوارِ أيُّوبَ وأليفازَ، اتَّهَمَ أليفازُ أيُّوبَ بأمورٍ كالتي ذكَرْناها منذُ قليلٍ. وبحَسَبِ فَهْمِنا لتِلْكَ الثَّقافةَ، فإنَّ تلك اتِّهامات فَظيعة وشرِّيرة. ثمَّ يُعلِنُ أليفازُ أنَّ جَزاءَ أيُّوبَ على أفعالِه تلك سيكونُ قاسِيًا، كما نقرأُ في الأعدادِ من العاشِرِ إلى الثالثَ عشرَ من الأصحاحِ الثاني والعِشرينَ، وجاء فيها:

''لأجلِ ذلكَ حَوالَيكَ فِخاخٌ، ويُريعُكَ رُعبٌ بَغتَةً أو ظُلمَةٌ فلا ترَى، وفَيضُ المياهِ يُغَطِّيكَ. هوذا اللهُ في عُلوِّ السَّماواتِ. وانظُرْ رأسَ الكَواكِبِ ما أعلاهُ! فقُلتَ: كيفَ يَعلَمُ اللهُ؟ هل مِنْ وراءِ الضَّبابِ يَقضي؟''.

ونرى هنا أنَّ أليفازَ يتَّهِمُ أيُّوبَ باطِلًا، ويدَّعي أنَّه يتساءَل عن الكَيفيَّةِ التي يعلَمُ بها الله العليُّ في السَّماءِ بالأمورِ، والكَيفيَّةِ التي يرى بها اللهُ عبر الضبابِ أو السَّحابِ. لكنَّ أيُّوبَ لم يَقُلْ ذلك، وأليفازُ يتَّهِمُه باطلًا.

ويُتابِعُ أليفازُ اتِّهاماتِه لأيُّوبَ في الأعدادِ من الرابعَ عشرَ إلى الثاني والعِشرينَ من الأصحاح الثاني والعِشرينَ، ونقرأُ فيها:

''السَّحابُ سِترٌ لهُ فلا يُرَى، وعلَى دائرَةِ السماواتِ يتَمَشَّى. هل تحفَظُ طريقَ القِدَمِ الَّذي داسَهُ رِجالُ الإثمِ، الذينَ قُبِضَ علَيهِمْ قَبلَ الوقتِ؟ الغَمرُ انصَبَّ علَى أساسِهِمِ. القائلينَ للهِ: ابعُدْ عَنَّا. وماذا يَفعَلُ القديرُ لهُم؟ وهو قد مَلأَ بُيوتهُمْ خَيرًا. لتَبعُدْ عَنِّي مَشورَةُ الأشرارِ. الأبرارُ يَنظُرونَ ويَفرَحونَ، والبَريءُ يَستَهزِئُ بهِمْ قائلينَ: ألَمْ يُبَدْ مُقاوِمونا، وبَقيَّتُهُمْ قد أكلَتها النَّارُ؟ تعَرَّفْ بهِ واسلَمْ. بذلكَ يأتيكَ خَيرٌ. اقبَلِ الشَّريعَةَ مِنْ فيهِ، وضَعْ كلامَهُ في قَلبِكَ''.

إذًا نقرأُ في هذا المقطَع نصيحةً لأيُّوبَ أنْ يتوبَ ويطلبَ اللهَ القدُّوسَ، ويقبَلَ الشريعةَ ويتَّبِعَ الربَّ ليكونَ في سَلامٍ.

ونواصِلُ تأمُّلَ كَلامِ أليفازَ في الأعدادِ من الثالثِ والعِشرينَ إلى الثلاثينَ من الأصحاح الثاني والعِشرينَ، ثمَّ نسمَعُ جزءًا من ردِّ أيُّوبَ على أليفازَ في العددَينِ الأوَّلَينِ من الأصحاح الثالثِ والعِشرينَ، وجاء فيها:

''إنْ رَجَعتَ إلَى القديرِ تُبنَى. إنْ أبعَدتَ ظُلمًا مِنْ خَيمَتِكَ، وألقَيتَ التِّبرَ علَى التُّرابِ وذَهَبَ أوفيرَ بَينَ حَصا الأوديَةِ. يكونُ القديرُ تِبرَكَ وفِضَّةَ أتعابٍ لكَ، لأنَّكَ حينَئذٍ تتَلَذَّذُ بالقديرِ وتَرفَعُ إلَى اللهِ وجهَكَ. تُصَلِّي لهُ فيَستَمِعُ لكَ، ونُذورُكَ توفيها. وتَجزِمُ أمرًا فيُثَبَّتُ لكَ، وعلَى طُرُقِكَ يُضيءُ نورٌ. إذا وُضِعوا تقولُ: رَفعٌ. ويُخَلِّصُ المُنخَفِضَ العَينَينِ. يُنَجِّي غَيرَ البَريءِ ويُنجَى بطَهارَةِ يَدَيكَ.

[والآنَ ردُّ أيُّوبَ في العددَين الأوَّلينِ من الأصحاح الثالثِ والعِشرين]:

فأجابَ أيُّوبُ وقالَ: اليومَ أيضًا شَكوايَ تمَرُّدٌ. ضَربَتي أثقَلُ مِنْ تنَهُّدي''.

إنَّ ما يردُّ به أيُّوبُ هنا هو أنَّ ما حدثَ له هو أسوأُ من شَكواه؛ لأنَّه لم يَشْكُ بالفِعلِ كلَّ ما يشعرُ به.

ونتابِعُ المزيدَ من ردِّ أيُّوبَ في العددِ الثالثِ من الأصحاح الثالثِ والعِشرينَ، وجاء فيه:

''مَنْ يُعطيني أنْ أجِدَهُ، فآتيَ إلَى كُرسيِّهِ''.

وهنا يقولُ أيُّوبُ لأليفازَ إنَّه مستَعِدٌّ لأنْ يطلُبَ اللهَ ليَنالَ السَّلام، لكنَّه لا يعرفُ أحدًا يدُلُّه على مكانِ اللهِ.

وعن هذا نقول: إنَّ في أعماقِ قلبِ الإنسان، مستَمِعيَّ الأعزَّاء، رغبةً دفينةً تطلبُ اللهَ العليَّ وتبحثُ عنه. حيث يقولُ العالِمُ هنري درَموند (Henry Drummond) في كِتابِهِ ''القانونُ الطبيعيُّ في العالَمِ الروحيِّ''، إنَّ هناك في كلِّ خليَّةٍ بشريَّةٍ أشبَه ما يكونُ بمخالبَ ضئيلةٍ تطلبُ الالتصاق باللهِ الآبِ.

فأيُّوبُ يعبِّرُ هنا في صرخةِ قلبِه ورغبَتِه أن يَجِدَ الربَّ، وهي أيضًا صرخةُ كلِّ مَن يطلبُ اللهَ ويبحثُ عنه. لكنَّنا كثيرًا ما نبحثُ عن اللهِ الحقِّ في الأماكنِ الخطأ، وهذا ما يقولُه أيُّوبُ في العددَينِ الثامنِ والتاسعِ من الأصحاح الثالثِ والعِشرينَ، ونقرأُ فيهما:

''هأنَذا أذهَبُ شَرقًا فليس هو هناكَ، وغَربًا فلا أشعُرُ بهِ. شِمالًا حَيثُ عَمَلُهُ فلا أنظُرُهُ. يتَعَطَّفُ الجَنوبَ فلا أراهُ''.

إذًا يقولُ أيُّوبُ في العددِ السادِسِ من هذا الأصحاح إنَّه يتمنَّى أن يجِدَ اللهَ المجيدَ؛ لأنَّه لن يوجِّه إليه الاتِّهاماتِ مِثلَما يفعلُ الأصحابُ الثلاثةُ، بل يقولُ إنَّ اللهَ المحبَّ حَتمًا سيُساعِدُه ويُقوِّيه، لو استطاعَ أن يَجِدَه. ثمَّ يُبيِّنُ أيُّوبُ أنَّه تحرَّكَ في مختَلفِ الاتِّجاهاتِ في سَعيِه أنْ يجِدَ اللهَ، لكنَّه لم يتمكَّنْ من ذلك، مع أنَّه يعرفُ أنَّ اللهَ هناك.

وما نلاحِظُه هنا هو أنَّ أيُّوبَ ينظُرُ إلى التلامُسِ الجسديِّ مع اللهِ. لكنَّنا نعرفُ أنَّ اللهَ روحٌ، ولا يمكنُ أن نستَكْشِفَه كأنَّه مادِّيٌّ. ونقرأ عن هذا في إنجيلِ يوحنَّا الأصحاح الرابع والعددِ الرابع والعِشرينَ، وجاءَ فيه على لسانِ يسوعَ المسيح:

''اللهُ روحٌ. والذينَ يَسجُدونَ لهُ فبالرُّوح والحَقِّ يَنبَغي أنْ يَسجُدوا''.

في وقتٍ سابقٍ، أعزَّائي، قالَ أليفازُ لأيُّوبَ في الأصحاح الحادي عشر والعددِ السابع:

''أإلَى عُمقِ اللهِ تتَّصِلُ، أم إلَى نِهايَةِ القديرِ تنتَهي؟''.

أي أنَّ أليفازَ أخبرَ أيُّوبَ في السابِقِ بأنَّه لا يستطيعُ الوصولَ إلى الربِّ. وخُلاصةُ القَولِ إنَّ البحثَ الفكريَّ وحدَه لا يوصِلُ إلى الله. والمثيرُ للاهتِمامِ أنَّ كثيرينَ يسعَونَ إلى فَهْمِ الله عقليًّا وفكريًّا، لكنَّهم يصطدمون في النهاية بحَجَرِ عَثْرةٍ. كما أنَّه لو تطلَّبَ الوصولُ إلى الله عبقَريَّةً فكريَّةً، لاستُثنِيَ معظمُ الناسِ من رحلةِ هذا البحثِ؛ لأنَّ العباقِرةَ قليلونَ. لكنَّ اللهَ الرَّحيمَ يُحبُّ جميعَ البَشَرِ، وحتَّى الأطفالُ يستَطيعونَ أن يَجدوه. ففي حينِ نرى

بعضَ العلَماءِ اللّامِعين والمفكِّرينَ يقولونَ إنَّهم لاأَدريُّون، أي لا يستطيعون الإيمانَ بوجودِ اللهِ لعَدَمِ وجودِ الدليل الكافي، نرى أيضًا أطفالًا يُسبِّحونَ الربَّ ويتكلَّمونَ عنه. ونقرأ في إنجيلِ متَّى ما اقتبَسَه يسوعُ المسيحُ من المزامير، حيث نقرأُ في إنجيل متَّى الأصحاح الحادي والعِشرينَ والعددِ السادسَ عشرَ:

’’...فقالَ لهُمْ يَسوعُ: نَعَمْ! أما قَرأتُمْ قَطُّ: مِنْ أفواهِ الأطفالِ والرُّضَّع هَيَّأتَ تسبيحًا؟‘‘.

ونقرأُ أيضًا ما فعلَه يسوعُ في إنجيلِ متَّى الأصحاح الثامِنَ عشرَ والعددَينِ الثاني والثالثِ، وجاء فيهِما:

’’فدَعا يَسوعُ إليهِ وَلَدًا وأقامَهُ في وسطِهِم وقالَ: الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنْ لَمْ ترجِعوا وتَصيروا مِثلَ الأولادِ فلن تدخُلوا ملكوتَ السماواتِ‘‘.

ويُرينا هذا أنَّ التفكيرَ العقلانيَّ ليسَ هو الأساسَ في الوصولِ إلى اللهِ. وأحيانًا نظنُّ أنَّنا نستطيعُ بعقولِنا أن نحُلَّ كلَّ المشكلاتِ. والدليلُ أنَّ مُعضِلةَ فهْمِ اللهِ لا تزالُ عَقَبةً في طريقِ العقلِ البشريِّ. فاللهُ العليُّ يُستَكشَفُ بالإيمانِ في قلبِ طِفلٍ، وهذا بُعدٌ روحيٌّ. لذا من الأفضلِ أن يترُكَ الإنسانُ البُعدَ المادِّيَّ ويتَّخِذَ خُطوةَ إيمانٍ في البُعدِ الروحيِّ ليدخُلَ في رحلةِ معرفةِ اللهِ. ونؤكِّدُ هنا أنَّ قيمةَ العقلِ في رحلةِ المعرفةِ هذه هي قيمةٌ ضئيلةٌ؛ لأنَّ اللهَ يريدُ لكلِّ البشَرِ أن يَعرِفوه. وهكذا تنازَلَ اللهُ المجيدُ إلى مستوانا لنتمكَّنَ من معرِفَتِه والسَّيرِ في طريقه. فما يجبُ على أيُّوبُ أن يفعَلَه هو أن ينظُرَ إلى العلاءِ، لا أن يبحَثَ من حَولِه عن اللهِ في الأمورِ المادِّيَّةِ.

وحقيقةُ الأمرَ أنَّ هذا كثيرًا ما ينطبِقُ علَينا، إذ نحاوِلُ أن ننظرَ من حولِنا لنصِلَ إلى اللهِ، بدلَ أن ننظُرُ إلى العلاءِ؛ وذلك لأنَّ الإنسانَ يسعى لأنْ يُنزِلَ اللهَ إلى مستواه، أو أنْ يَضَعَه في تصوُّرٍ مجسَّمٍ ومفهومٍ بشريًّا كما كانَ يفعَلُ القُدَماءُ. وكان هذا شائعًا؛ لأنَّ الإلهَ المصنوعَ بِيَدٍ بشريَّةٍ غالبًا ما يكونُ إسقاطًا لما يريدُه الإنسانُ.

وصُنْعُ الآلهةِ على صورةِ البَشَرِ هو دليلٌ قويٌّ على أنَّنا نحبُّ أنفسَنا، لذلك غالبًا ما يكذبُ مَن يدَّعونَ أنَّهُم يكرَهونَ أنفُسَهُم؛إذ يحاوِلون غالبًا لَفْتَ الأنظارِ إلَيهِم. ونسمَعُ في هذا الإطارِ القَولَ المأثورِ إنَّ زَوجَينِ يُشبِهانِ بعضُهُما بعضًا نتيجةَ طُولِ العِشرةِ ما بينَهُما. وما يقولُه علماءُ النَّفسِ عن ذلك هو الآتي: ''إنَّ الشخصَ يحبُّ نفسَه كثيرًا، لذا حينَما يختارُ شَريكَ حياتِه، فعادةً ما يقعُ اختِيارُه على شخص يُشبِهُه''. فالحقيقةُ إذًا أنَّ الشَّريكَين كانا متشابِهَينِ من البِدايةِ، لذلك تمكَّنا من العَيشِ مدَّةً طويلةً بعضُهُما معَ بعض، فيقولُ الناسُ عنهُما إنَّهما متشابِهانِ.

وبالعَودةِ إلى مَوضوع الآلهةِ المصنوعةِ، فإنَّنا نرى أنَّها إسقاطٌ لما يُحِبُّ الإنسانُ أن يكونَه لو كانَ إلهًا، فيجسِّدُ المكانَ الذي يريدُ العَيشَ فيه، أو الوظيفةَ التي يودُّ أن يؤدِّيَها، والطريقةَ التي يرغبُ بها في استِجابةِ طِلْباتِ الناسِ. والنتيجةُ النهائيَّةُ هي أن يصيرَ الإلهُ المصنوعُ انعكاسًا أو إسقاطًا لرَغْباتِ البَشَرِ.

وفي سِياقٍ مشابِهٍ، أسمَعُ أحيانًا أشخاصًا يقولونَ إنَّهم لا يعرِفونَ لماذا سَمَحَ اللهُ بحدوثِ أمرٍ سيِّئٍ معَهُم. وأعتقدُ أنَّ ما يقولونَه هو إنَّهُم لو كانوا اللهَ، لَما سَمَحوا بوقوع ما جرى، ولتصرَّفوا بحِكمةٍ أكثَرَ، ووَضَعوا خُطَّةً أحسَنَ. ودون شكٍّ سيكونُ شكلُ العالَمِ مختَلِفًا لو تحكَّموا هم في الكَونِ. وأرى أنَّ طريقتَهُم في التَّفكيرِ أنانيَّةٌ، كما أنَّهُم يسعَونَ دونَ إدراكٍ مِنْهُم لأن يكونوا مكانَ اللهِ القديرِ.

ومحصِّلةُ الكلامِ، مستَمِعيَّ الكِرام، هي أنَّ البشرَ لا يَصِلون إلى اللهِ العليِّ بالتفكيرِ العقلانيِّ وحدَه ولا بتعظيمِ أنفُسِهِم، بل يصلونَ إليه بواسطةِ يسوعَ المسيح. ونقرأُ عن هذا في إنجيلِ يوحنَّا الأصحاح الرابعَ عشرَ، والعددَين السادسِ والتاسع، وجاءَ فيهِما:

''قالَ لهُ يَسوعُ: أنا هو الطَّريقُ والحَقُّ والحياةُ. ليس أحَدٌ يأتي إلَى الآبِ إلَّا بي...الذي رآني فقد رأى الآبَ...''.

فما يقولُه يسوعُ المسيحُ هنا هو إنَّ البشَرَ لن يتمكَّنوا من الوصولِ إلى اللهِ إلَّا بواسطتِه. لذلك فكلُّ البشرِ من الطفلِ إلى العالِمِ يجب أن يأتُوا إلى اللهِ بالطريقِ الوحيدِ نفسِه. وهكذا ينبغي أن نترُكَ الاتِّكالَ على عبقريَّتَنا جانِبًا، ونركعَ عِندَ الصَّليبِ رافِعينَ صلاةَ التَّوبةِ: ''اللهمَّ ارحَمِني أنا الخاطئ''. وعِنْدَها نجِدُ اللهَ.

وبالعَودةِ الآنَ إلى أيُّوبَ، نرى أنَّه ينطِقُ أحيانًا بعباراتٍ ثمينةٍ وَسَطَ الاكتِئابِ وعذاباتِ الألمِ التي يُعانيها، لكنَّه سُرعانَ ما يعودُ إلى اكتِئابِه، فكأنَّه يصعدُ إلى جَبَلِ المجدِ قليلًا، ثمَّ ينحدِرُ إلى الحُفرةِ ثانيةً. وفي العددِ العاشِرِ من الأصحاح الثالثِ العِشرينَ ينطِقُ أيُّوبٍ بكلماتٍ مشجِّعةٍ، نقرأُ فيها:

'' لأنَّهُ يَعرِفُ طَريقي. إذا جَرَّبَني أخرُجُ كالذَّهَبِ''.

فرُغمَ أنَّ أيُّوبَ لا يستَطيعُ أن يرى اللهَ العليَّ ولا أن يَجِدَه، فهو يُدركُ أنَّه يعرفُ طريقَه، ورى أيضًا أنَّ مِثلَ هذه التجارِبِ تُخرجُه نَقِيًّا كالذَّهبِ.

ولا بدَّ أنَّنا نرى خَلْفَ هذا الكَلامِ إيمانًا قويًّا هو ما يحفَظُ هذا الرَّجُلَ. فرُغمَ أنَّه يعاني صُعوباتٍ جَمَّة، ولا يستطيعُ أن يفهَمَ مشكلَتَه، فهو رجلٌ راسخٌ في إيمانِه؛ لأنَّه يعرفَ في أعماقِه أنَّ اللهَ المجيدَ يَعرِفُ طريقَه، وسيخرجُ من تجربَتِه كالذَّهبِ. فلا بدَّ أنَّ للهِ الحكيمِ قَصْدًا مُنقِّيًا من اختِبارِ أيُّوبَ.

وربَّما كانَ أيُّوبُ في ذِهْنِ الرسولِ بُطرسَ لمَّا كتبَ في رسالتِه الأولى الأصحاح الرابع والعددِ الثاني عشر:

''أيُّها الأحِبَّاءُ، لا تَستَغرِبوا البَلوَى المُحرِقَةَ التي بَينَكُمْ حادِثَةٌ، لأجلِ امتِحانِكُمْ، كأنَّهُ أصابَكُمْ أمرٌ غَريبٌ''،

كما يذكُرُ في الرِّسالةِ نفسِها، الأصحاح الأوَّلِ والعددِ السابعِ:

"لكَيْ تكونَ تَزكِيَةُ إيمانِكُمْ، وهي أثمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الفاني، مع أنَّهُ يُمتَحَنُ بالنَّارِ...".

ويتناوَلُ بطرسُ الرَّسولُ هنا عمليَّةَ تنقِيةِ الذَّهبِ لإزالةِ الخَبَثِ والشوائبِ منه. وهذا ما رآهُ أيُّوبُ في أنَّ ما يمرُّ به هو تنقيةٌ ليصيرَ كالذَّهبِ.

ونتابعُ كلامَ أيُّوبَ في العددَينِ الحادي عشر والثاني عشر من الأصحاح الثالثِ والعِشرينَ، وجاء فيهِما:

"بخَطَواتِهِ استَمْسَكَتْ رِجلي. حَفِظتُ طريقَهُ ولَمْ أحِدْ. مِنْ وصيَّةِ شَفَتَيهِ لَمْ أبرَحْ. أكثَرَ مِنْ فريضَتي ذَخَرتُ كلامَ فيهِ".

ما يلفِتُ النَّظرَ هنا أنَّ كلمةَ اللهِ كانَتْ مكرَّمةً في أيَّامِ أيُّوبَ الذي كان معاصِرًا لموسى إنْ لم يكُنْ قبلَ موسى، ويبدو أنَّ كلامَ اللهِ كانَ في ذلك الحينِ مكتوبًا بصورةٍ ما.

والسؤالُ المهمُّ الآن: ما قيمةُ كلمةِ اللهِ عِندَك؟ وتَعليقي هنا أنَّ المولودينَ ثانيةً صاروا روحيِّينَ، لكنَّ طبيعتَهُم الجسديَّةَ لا تزالُ مَوجودةً. ومن هنا يُذكِّرُنا الكتابُ المقدَّسُ أنَّ الجسدَ يشتهي ضدَّ الرُّوح والرُّوحَ ضِدَّ الجَسَدِ، وذلك في إطارِ الحَرْبِ الروحيَّةِ.

وفي سِياقٍ متَّصِلٍ، أقولُ إنَّنا نستطيعُ أن نُغَذِّيَ أَجْسادَنا وأن نُزوِّدَها بالطَّاقةِ الضروريَّةِ لإنجازِ وظائِفِها. لكنْ ماذا بشأنِ إنسانِنا الروحيِّ الجديد؟ والمدهِشُ أنَّنا كثيرًا ما نُهمِلُ تغذِيَتَه، فنعاني فقرَ دمٍ روحيًّا، إنْ جازَ التعبيرُ. أمَّا أيُّوبُ فيقولُ إنَّه يُصغي إلى كَلامِ اللهِ لتغذِيةِ روحِه. والتي يرى أنَّها أهمُّ من الغذاءِ الجسديِّ. وهذا درسٌ نتعلَّمُه من أيُّوبَ بضرورةِ الاهتِمامِ بإنسانِنا الروحيِّ، وذلك بالاتِّكالِ على كلمةِ اللهِ؛ فهي الغذاءُ الأساسيُّ لأرواحِنا.

الخاتمة

(مقدِّمُ البرنامَج)

السؤالُ المهمُّ الذي ينبغي طرحُه الآنَ، أعزَّائي المستَمِعينَ، هو: هل نجتازُ التجارِبَ الموضوعةَ أمامَنا؟ إذا اجتزناها بنجاح، فسوف نُبيِّنُ للعالَمِ أنَّ إيمانَنا باللهِ حقيقيٌّ. وهذا ما فَعَلَه اللهُ مع أيُّوبَ، ليُبيِّنَ لكلِّ السَّماءِ أنَّ أيُّوبَ سيَصْبِرُ ولن يتخلَّى عن علاقتِه بالربِّ وَسَطَ حياتِه القاسِيةِ.

في الحلقةِ المقبِلةِ من برنامَج ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سيُبرِزُ القسُّ تشَك لنا كيف أنَّ طاعةَ أيُّوبَ للهِ المجيدِ موازِيةٌ لحِفظِ كلمةِ اللهِ في قلبِه.

كلمةٌ ختاميَّة

(الرَّاعي تشَك سميث)

صلاتُنا لأجلِكَ، عزيزي المستمع، أن تصبرَ على الضِّيقاتِ؛ لأنَّ الربَّ معَك وسيُنجِّيكَ في الوقتِ المناسبِ. ونصلِّي أيضًا أن تجتازَ اختباراتِكَ وتخرُجَ منها نقيًّا كالذَّهبِ.
ونصلِّي أخيرًا أن تحتَمِلَ المشقَّاتِ كجنديٍّ صالح ليسوعَ المسيح مستَعدٍّ دَومًا. بِاسْمِ يسوعَ المسيحِ نصلِّي. آمين!